لشخصية عبد الناصر ، مثله في ذلك مثل اية شخصية تاريخية ، يضفي مسحة من مغامرة على بعض تصرفاته الكبيرة ، الا ان حساباته في هذه الفترة ، رغم انها كانت خاطئة ، لم تكن بلا أساس .

لم يكن عبد الناصر يريد الهجوم على اسرائيل بالطبع ، ولكن كانت نواياه تتجه الى انقاذ سوريا من مخاطر تهديدات اعتقدها جدية ، من خلال ضغوط ومناورات تحولت الى فخ قاتل . ان حساباته كانت مبنية على اساسين رئيسيين : الجيش المصري والدعم السوفياتي . حقا ان عبد الناصر لم يكن يقدر ان الجيش المصري اقوى من الجيش الاسرائيلي ، الا انه كان ، بالتأكيد ، على ثقة من ان الجيش المصري يمكن ان يقاتل مدة ما دون ان ينهزم . اما الدعم السوفياتي ، فان عبد الناصر كان يقدر ان الاتحاد السوفياتي سيتدخل بطريقة ما لمنع الهزيمة على الاقل . وهذا لم يحدث .

هذا جانب من الموضوع ، اما الجانب الاخر منه فهو ان عبد الناصر ، الحريص على روابطه بالجماهير العربية ، والذي لم يستطع ان يواجهها الا بنصف الحقائق متأخرا ، بسبب موقفه الابوي منها ، قد سار ، بسبب هذا الحرص ، على صراط ضيق جدا بين نارين : نار الديماغوجية التي تصور انها ستقطع صلاته بالجماهير العربية ، او ستضعفها على الاقل ، ونار الامبريالية التي احكمت هذا الفخ المميت لتصفي حساباتها معه الى الابد . وفي هذا الصراط الضيق لم يستطع عبد الناصر ، الذي جرحته تهم الجبن والعمالة ، ان يمسك رأسه تماما وان يتوازن تمام التوازن ، فهوى . ولكن تلقفته الجماهير التي وقفت لاول مرة في التاريخ مع قائد مهزوم . واذا كان هذا الجانب من شخصية عبد الناصر قد لعب دوره ، فان قصور وعيه للظاهرة الامبريالية قد لعب دوره في هذا المجال ايضا .

وحاول عبد الناصر ان يقف من جديد ، مع شعبه ، وهو في القاع ، قاع الهزيمة . ولكن امريكا قررت ان تتابع المعركة وصولا الى اعادة الشعب العربي الى ما قبل العام ١٩٥٢ ، أي الى ما قبل عبد الناصر(٦٩). وفي ٢٨ ايلول ١٩٧٠ غاب عبد الناصر وهو ينزف (وشعبه ينزف معه) ، ولكنه كان واقفا .

(٦)

كيف تبلورت وتحددت رؤية عبد الناصر للمسألة الفلسطينية ، وما هو الـ plate-forme الذي استخلصه لمواجهة الخطر او الغزو الصهيوني ؟

١ ــ ان اسرائيل جسم غريب زرعه الاستعمار وتحميه الامبريالية للقضاء على احتمالات النهضة العربية وليكون رأس جسر لها في الوطن العربي . ان اسرائيل هي « الشعب » النقيض للامة العربية . انها نقيضة antithèse الوجود العربي .

٢ ــ بما ان ميزان القوى المحلي والدولي ليس في صالح العرب ، وبما أنه ليس بامكان اسرائيل ان تقضي على الامة العربية ، لذا فان الصراع سيكون صراعا تاريخيا ومديدا . ومن هنا يرفض عبد الناصر الاوهام السلامية على صعيد المستقبل ، استراتيجيا وتاريخيا ، كما انه يرفض الاوهام التحريرية على صعيد التكتيك والعمل السياسي .

٣ ــ ان الضعف العربي يتجسد في ظاهرتين اساسيتين : التخلف والتجزئة . وبما ان الصراع ضد التخلف معركة طويلة ، ونتائجها في المدى القريب ليست ناجعة في قلب ميزان القوى المحلي لصالح العرب ، لذا تغدو الوحدة العربية طوق خلاص للعرب في المرحلة الراهنة والثقل الذي سيرجح ميزان القوى المحلي لصالح العرب ، وسيكون هذا الرجحان أشد بقدر ما تكون الوحدة أوثق وأكثر تلاحما وتقدما . ان وزن العرب العددي ليس له ــ كما اثبتت تجارب العشرين عاما الماضية ــ اي قيمة الا في اطار